وما صدرت به القصة فمساقه لبيان مذهبهم وتمهيد نفاقهم فليس بتكرير روي ان ابن ابي
واصحابه استقبلهم نفر من الصحابة فقال لقومه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد
ابو بكر رضي الله عنه وقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه
الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله وختنه
سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اذا
صادفته واستقبلته ومنه القيته اذا طرحته فانك بطرحه جعلته بحيث يلقى واذا خلوا الى شياطينهم
من خلوت بفلان واليه اذا انفردت معه او من خلاك ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية
او من خلوت به اذا سخرت منه وعدي بالى لتضمين معنى الانهاء والمراد بشياطينهم الذين ماثلوا
الشيطان في تمردهم وهم المظهرون كفرهم واضافتهم اليهم للمشاركة في الكفر وكبار المنافقين
والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نونه تارة اصلية على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد عن الصلاح
ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة على انه من شاط اذا بطل ومن اسمائه الباطل قالوا انا
معكم في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية والشياطين بالجملة الاسمية المؤكدة بان
لانهم قصدوا بالاولى دعوى احداث الايمان وبالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ولانه لم يكن لهم باعث
من عقيدة وصدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال في الايمان على المؤمنين من المهاجرين
والانصار بخلاف ما قالوه مع الكفار انما نحن مستهزءون تاكيد لما قبله لان المستهزئ بالشيء المستخف
مصر على خلافه او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف فكان الشياطين قالوا لهم لما قالوا
انا معكم ان صح ذلك فما لكم توافقون المؤمنين وتدعون الايمان فاجابوا بذلك والاستهزاء السخرية والاستخفاف
يقال هزات واستهزات كاجبت واستجبت واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع يقال هزا
فلان اذا مات على مكانه وناقته تهزا به اي تسرع وتخف الله يستهزئ بهم يجازيهم
على استهزائهم سمي جزاء الاستهزاء باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما لمقابلة اللفظ باللفظ
او لكونه مماثلا له في القدر او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزئ بهم او ينزل بهم
الحقارة والهوان الذي هو لازم الاستهزاء والغرض منه او يعاملهم معاملة المستهزئ
اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزيادة في النعمة على
التمادي في الطغيان واما في الآخرة فبان يفتح لهم وهم في النار بابا الى الجنة فيسرعون
نحوه فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون
وانما استؤنف به ولم يعطف ليدل على ان الله تعالى تولى مجازاتهم ولم يحوج المؤمنين الى ان

يعارضهم

ان يعارضوهم وان استهزاءهم لا يؤبه به في مقابلة ما يفعل الله بهم ولعله لم يقل الله مستهزئ
بهم ليطابق قوله ايذانا بان الاستهزاء يحدث حالا فحالا ويتجدد حينا بعد حين وهكذا كانت
نكايات الله تعالى فيهم كما قال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ويمدهم في
طغيانهم يعمهون من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت السراج والارض
اذا اصلحتهما بالزيت والسماد لا من المد في العمر فانه يعدى باللام كاملي لهم ويدل عليه قراءة
ابن كثير ويمدهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء الكلام على ظاهره قالوا لما منعهم الله تعالى
الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم وسدهم طرق
التوفيق على انفسهم فتزايدت بسببه قلوبهم رينا وظلمة تزايد قلوب المؤمنين انشراحا ونورا
او مكن الشيطان من اغوائهم فزادهم طغيانا اسند ذلك الى الله تعالى اسناد الفعل الى المسبب
واضاف الطغيان اليهم لئلا يتوهم ان اسناد الفعل اليه حقيقة ومصداق ذلك انه لما اسند المد الى
الشياطين اطلق الغي وقال الله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي او كان اصله يمد لهم بمعنى يملي لهم
ويمد في اعمارهم كي يتنبهوا ويطيعوا فما زادوا الا طغيانا وعمها فحذفت اللام وعدي الفعل
بنفسه كما في قوله تعالى واختار موسى قومه والتقدير يمدهم استصلاحا وهم مع ذلك يعمهون في
طغيانهم والطغيان بالضم والكسر كلقيان ولقيان تجاوز الحد في العصيان والغلو في الكفر
واصله تجاوز الشيء عن مكانه قال الله تعالى انا لما طغى الماء حملناكم والعمه في البصيرة كالعمى في
البصر وهو التحير في الامر يقال رجل عامه وعمه وارض عمهاء لا منار بها قال اعمى الهدى بالجاهلين
العمه اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى اختاروها عليه واستبدلوها به واصله
بذل الثمن لتحصيل ما يطلب من الاعيان فان كان احد العوضين ناضا تعين من حيث انه لا
يطلب لعينه ان يكون ثمنا وبذله اشتراء والا فاي العوضين تصورته بصورة الثمن فباذله مشتر
واخذه بائع ولذلك عدت الكلمتان من الاضداد ثم استعير للاعراض عما في يده محصلا به
غيره سواء كان من المعاني او الاعيان ومنه اخذت بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات
الدر دردرا وبالطويل العمر عمرا حيدرا كما اشترى المسلم اذ تنصرا ثم اتسع فيه فاستعمل للرغبة
عن الشيء طمعا في غيره والمعنى انهم اخلوا بالهدى الذي جعل الله لهم بالفطرة التي فطر الناس
عليها محصلين الضلالة التي ذهبوا اليها واختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى فما ربحت
تجارتهم ترشيح للمجاز لما استعمل الاشتراء في معاملتهم اتبعه ما يشاكله تمثيلا لخسارهم
ونحوه ولما رايت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري والتجارة طلب
الربح بالبيع والشرى والربح الفضل على راس المال ولذلك سمي شفا واسناده الى التجارة